المحاضرة السابعة

المقالة :

المقالـة الادبيـة قطعـة نثريـة محـدودة فـي الطـول والموضـوع، تكتـب بطريقـة عفويـة سـريعة خاليـة مـن الكلفة والرهق، وشرطها الاول ان تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب، ومن خصائصها:

١- **تكتـب المقالـة** نثرا وليس شعرا، لهذا تدرس ضمن انواع وفنون النثر وتستثنى من ذلك أثار قليلة كتبت شعرا مثل (مقالة في الانسان) بالشاعر الانكليزي بوب .

٢- **الطـول المعتـدل:** فالمقالـة ليسـت طويلـة اذ تـأتي فـي بضـع صـفحات، وذلـك لأنهـا لا تتنـاول كـل الافكـار والحقـائق المتعلقـة بموضـوعها، كمـا هـو الشـأن فـي البحـث وانمـا تتنـاول جانبـا او زاويـة محدد منه.

٣- **العفويـة:** لا تخضـع المقالـة فـي الغالـب للمنهجيـة والتكليـف والنظـام الـدقيق، لأنهـا –كمـا يقـول بعـض النقـاد– نـزوة عقليـة لا ينبغـي ان يكـون لهـا ضـابط مـن نظـام .هـي قطعـه لا تجـري علـى نسـق معلـوم . ولم يتم هضمها في نفس كاتبها.

٤- **الذاتيـة:** تتميـز المقالـة مـن الاجنـاس الادبيـة النثريـة بالطـابع الـذاتي الـذي يجعلهـا تعبيـرا مباشـراً عـن الرؤيـة الذاتيـة لكاتبهـا وخبراتـه، ((فالمقالـة لـيس حشـدا مـن المعلومـات ولـيس كـل هدفـه ان ينقـل المعرفـة ، بـل لا بـد الـى ذلـك ،ان يكـون مشـوقا ،،ولا يكـون المقـال كـذلك حتـى يعطينـا مـن شخصـية الكاتـب بمقـدار مـا يعطينـا مـن الموضـوع ذاتـه ، فشخصـية الكاتـب لا بـد ان تبـرز فـي مقالـة، لا فـي الموضـوع فحسـب ، بـل فـي طريقـة تناولـه الموضـوع وعرضـه اياه، ثـم فـي مقالـة، لا فـي الموضـوع فحسـب، بـل فـي طريقـة تناولـه الموضـوع وعرضـه اياه، ثـم فـي العنصـر الـذاتي الـذي يضـيفه الكاتـب مـن خبراتـه الشخصـية وممارسـته للحيـاة العامـة، ((فشخصـية الكاتـب تتجلـى واضـحه وقويـة فـي المقالـة عنـدما ينظـر الـى الامـور مـن وجهـة نظـرة الخاصـة ، ويتجـه اتجاهـاً خاصـا يتمثـل فـي النظـر الـى زاويـة مضـادة لكـل موضـوع يلـذ لـه، مـن امثلـة ذلـك مقـالات ابـراهيم المـازني، بـل عـن الفقـر والضـعف، فهـو يقـول ((اسـاتذتي)، لا يتحـدث فيهـا المـازني عمـن علمـوه مـن الاسـاتذة، بـل عـن الفقـر والضـعف، فهـو يقـول (اسـتاذي الاول الفقـر هـو الـذي اتـاني القـوة والقـدرة علـى الكفـاح وعلمنـي التسـامح والترفـق والعطـف، وايثـار الحسـنى وعـودني ضـبط الـنفس وتـوخي الاتـزان ،وجنبنـي الضـعف والفظاظة، وحبب الي الفقراء وفتح عيني على القيم الحقيقية للناس والأشياء والحوادث ،،،)

٥- **الاسلوب الخاص والمتميز** الذي يثير الانفعال ويستند الى الخيال والعبارات الموسيقية والصور الموحية، واستخدام عناصر التشويق من مثل او حكاية ز واختيار بداية جاذبة ومشوقة .وخاتمة تعطي القارئ شعوراً بالاقتناع والرضا باكتمال الموضوع في مقالة لأحمد امين عنوانها (بساطة العيش) نجد بداية تقليدية غير مشوقة (تعجبني الحياة البسيطة لا تعقيد فيها ولا تركيب واكره ما اكره التكلف والتصنع وتعقيد الحياة وتركيبها)، على حين نجد في مقالة (قميص السعادة) لزكي نجيب محمود بداية مشوقة تثير شغفنا وفضولنا فتتحمس لقراءتها (يحكى ان رجلا ضاق بنفسة وضاقت به نفسة ومل الحياة وملته الحياة، لا يكاد يستقر في مكانه من مأواه حتى يخرج ...).

وعلى الاجمال ان (موضوع المقالة وقيمته الجمالية كل لا يتجزأ .فليس فن المقالة مقصورا على ادواته الجاذبية . من الفاظ متخيرة وصور دقيقة وايقاعات منوعة . انما قيمة المقال في عظمة موضوعة واهميته .وما يحوي من اراء قيمة تثير شغف القارئ واهتمامه...)

تبلورت المقالة الحديثة من نوعين رئيسين هما المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية، أما الذاتية فهي التي تعنى بابراز شخصية الكاتب وتعتمد الأسلوب الادبي الذي يشع بالعاطفة ويستند الة الصور الخيالية والصنعة البيانية، وأما الموضوعية فهي التي تعني بتجلية موضوعها بسيطاً واضحاً، وتحرص على التقيد بما يتطلبة الموضوع من منطق في العرض، وتقديم المقدمات واستخراج النتائج، لكن كلتيهما تنبع من منبع واحد هو رغبة الكاتب في التعبير عن شيء ما، وقد يكون هذا الشيء تأملاته الشخصية في الحياة والناس فكيتب مقالة ذاتية، وقد يكون موضوعاً من الموضوعات فيعمد الى المقالة الموضوعية.

نشأت المقالة الحديثة في الاداب الاوربية في القرن السادس عشر وارتبطت نشأتها بالصحافة، ويُعدّ الكاتب الفرنسي مونتين (١٥٣٣-١٥٩٢) منشيء المقالة الحديثة.

عرفت المقالة عند مونتين عندما آثر العزلة في قلعة تاريخية وشرع يقرأ كتباً مختلفة في الفلسفة والادب والاجتماع، (وكان من عادته ان يقتبس من هذه الكتب الحكم الاخلاقية والامثال والنوادر، وان يعلق عليها تعليقات قصيرة ذات طابع شخصي، واجتمع له في ذلك شيء غير قليل، وفي ذات يوم من عام ١٥٧٢ شرع يجمع ما تشابه من الحكم والامثال بعضها الى بعض ويرد فيها بخلاصة تأملاته عنها فاذا بها تكون قطعة نثرية خاصة وتكون الفصل الاول من كتاب بدأ يفكر بتأليفه لنفسه وكأنه لا يقصد الى الطبع، ولن يكون هذا الكتاب اكثر من هذا التجميع والتعليق الشخصي على كل قطعة مجمعة، وعد كل قطعة فصلاً وللفصل رقم وعنوان) وصدر الكتاب في عام ١٥٨٥، وبصدوره ولدت المقالة الحديثة.

مـرت مقـالات مـونتين بطـورين فـي الطـور الاول غلـب علـى مقالاتـه الاقتبـاس، ولـم يظهـر فيهـا–الا قلـيلاً– العنصـر الـذاتي، لكنـه فـي الطـور الثـاني شـرع يبتعـد عـن الاقتبـاس، ويميـل الـى تغليـب العنصـر الشخصـي علـى مـا يكتـب ومـع ذلـك لـم يتخـل كليـاً عـن الامثـال والحكـم المـأثورة التـي راح يـدعم بهـا افكـاره فـي كلامه على تجاربه الخاصة وتأملاته الذاتية.

امـا الرائـد الثـاني للمقالـة الحديثـة فهـو الكاتـب الانكليـزي بيكـون (١٥٦١–١٦٢٦) الـذي قـرأ مقـالات مـونتين وكتـب بعـدها مجموعـة مـن المقـالات التـي غلـب عليهـا الطـابع السياسـي الـذي تمثـل فـي سـيطرة الحكـم والمواعظ والدروس الاخلاقية والسياسية عليها.

أمـا مـا يخـص الأدب العربـي فقـد عـرف ادبنـا القـديم فنـأ ادبيـاً شـبيهاً بالمقالـة، هـو فـن الرسـائل ولا سـيما الرسـائل العلميـة التـي تتنـاول موضـوعاً واحـداً بشـئ مـن الايجـاز، ومـن وجهـة نظـر كاتبهـا مثـل رسـائل الجـاحظ، وكـان مـن الممكـن ان تتطـور هـذه الرسـائل وتكـون بـواكير المقالـة الحديثـة لـولا مـاطرأ علـى النثـر العربـي، منـذ القـرن الرابـع الهجـري، مـن ميـل الـى الصـنعة والزخـارف اللفظيـة التـي قضـت علـى حيويـة النثـر وحولته الى صناعة لفظية.

عرفـت المقالـة الحديثـة فـي ادبنـا الحـديث فـي القـرن التاسـع عشـر نتيجـة لاتصـالنا بـالغرب واطلاعنـا علـى آدابـه، ونتيجـة لانشـاء الصـحف والمجـلات فـي الـوطن العربـي ومـن الكتـاب الـذين بـرزوا فيهـا الشـيخ محمـد بعـده ومصـطفى لطـي المنفلـوطي وطـه حسـين وابـراهيم المـازني واحمـد امـين وجبـران خليـل جبـران وزكـي نجيب محمود واليك مقالة لزكي نجيب محمود تجدها في المختارات.

المصدر:

–عدنان خالد:النقد التطبيقي التحليلي،سلسلة (افاق) بغداد،١٩٨٦.